٤

WWW.ATTAWEEL.COM

أسئلة الكتاب صـ ٢٠

بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمدينة البصرة كما اوردها الرحالة الاوربيون في العصر الحديث

دراسة
د. فلاح حسن عبد الحسين
كلية التربية/جامعة البصرة

تعتبر كتب الرحلات احدى مصادرنا المهمة لدراسة تاريخ المشرق العربي والعراق خاصة في العصر الحديث حيث تكمن تلك الاهمية لا في عددها الضخم فقط وانما في مادتها ومنهجيتها التي تناولت جوانب مختلفة وممتعة من تاريخنا الذي تفتقر اليها مصادرنا المحلية في الغالب. حقيقة ان معلوماتنا غير دقيقة عن عدد تلك الرحلات بالضبط حيث يذكر لونكريك ستة وتسعين منها واغلبها اوربية في حين قدرها بعض الباحثين المحدثين بما يقرب الثلاثمائة[1]، لكن معرفتنا بها مازالت قليلة جداً « في الوقت الحاضر ولا توازي اهميتها بالرغم من ظهور بعض الاعمال في الاونة الاخيرة سواءً » تلك التي ترجمت الرحلات الى اللغة العربية مباشرة او التي درست بعض المواضيع المجددة من خلالها[2]، لعل السبب في ذلك هو اما تعدد اللغات التي كتبت بها، او صعوبة العثور عليها في اوربا لقدمها، او التنوع الكبير للمواضيع التي بحثتها.

مما لاشك فيه ان اهداف وغايات اولئك الرحالة متعددة ومتباينة لكنها كانت تعكس الاهتمام المتزايد بالشرق من قبل القوى الاوربية منذ مطلع القرن السابع عشر عندما بدأت البوادر الاولى لصراعاتها من اجل السيطرة والتوسع فيما وراء البحار، وقد بدأت اسبانيا والبرتغال وهولندا كقوى بحرية استطاعت الوصول الى هذه المناطق من العالم وبذلك وفروا معلومات مهمة وقيمة لحكوماتهم وبلدانهم عن تلك المناطق والاصقاع التي زاروها، وهم لم يخفوا تلك الاهداف فقد ذكروها اما في مقدمة او ثنايا تلك الرحلات. ذكرت كاريه عند مرورها بالبصرة عام ١٦٦٣ ان هدف رحلتي للهند لايخلو من مهام استطلاعية لحساب شركة الهند الشرقية الفرنسية، لا لمراقبة حركة الهولنديين والانكليز هناك، وانما لملاحظة اعمال شركة الهند الفرنسية نفسها هناك. . . ولذلك جاءت رحلتها مليئة بالملاحظات والانطباعات عن الهند والصراع الانكليزي ـ الهولندي، والصراع الفرنسي ـ الهولندي في مياه الهند الشرقية[3].

لكن الملك الاسباني فيليب الثاني (١٥٥٧ ـ ١٥٩٦) كان منتبهاً قبل كاريه الى اهداف تلك الرحلات وخاصة الانكليزية منها التي كان ابرزها رحلة آيارد ـ فيج ـ نيوبري عام ١٥٨٣ الى الشرق لدراسة طريق الفرات ومدى صلاحيته للتجارة حيث كتب الى نائبه في الهند بان « عليه الانتباه الى الخليج العربي الذي

WWW.ATTAWEEL.COM

يحاول الانكليز استخدامه كبوابة للوصول الى الهند . . .»[1]. ، ولذلك فان الرحالة الانكليزي S. Cowper لاينكر هدف رحلته الى العراق عندما كتب:

«بالرغم من زيارة رحالة كثيرين لمدينة البصرة التي وصلوها اما عن طريق الخليج العربي او عن طريق الفرات فان تلك الرحلات كانت نهرية اهتمت بالجوانب الملاحية والجغرافية ولا تعطي وصفاً «دقيقاً» للتجار الانكليز عن طريق الفرات الذي ظل مجهولاً، وباستثناء رحلة Blunt ليس هنالك وصف دقيق عن هذا الطريق الى البصرة، لان التاجر الذي يريد الذهاب الى الشرق فانه يذهب عن طريق البحر المتوسط ـ اورفه ـ ديار بكر ماردين ـ الموصل ـ بغداد حيث توجد في هذا الطريق العقبات الملاحية وصعوبة الحصول على التجهيزات. . . ولذلك فاني سافرت لاكتشاف طريق الفرات. . . وحتى البصرة الذي يمكن ان يكون طريقاً للسفن التجارية. . .»[2]

اما السير وليس بوج فقد كتب بصراحة عند وصوله الى البصرة عام ١٨٨٦.

«وبعد ان رحب بي القنصل البريطاني في البصرة السير رويرتسن وبحث معي الهدف المقصود من زيارتي لهذه البلاد باسهاب وزودني بمقترحات مفيدة حيث اعلمني ان هناك تجارة عظيمة نجحت في صنف العاديات وان بيوتاً عدة في البصرة وبغداد تعمل على تصديرها بصورة منظمة الى وكالائها في لندن وتقوم سفن الحكومة التركية بنقلها من بغداد الى البصرة. . . .»[3].

ليس من الصعب قراءة العديد من تلك الاهداف في الرحلات الاوربية عامة التي تمثل في بعض وجوهها النمو المتزايد من الاهتمام بهذه المنطقة ، في حين تمثل بعض اهداف الرحلات الاخرى مقاومة ذلك الاهتمام، فبعد تزايد الاهتمام البريطاني في العراق مثلاً، تلاحظ فرنسا ارسلت قونتانيه في منتصف القرن التاسع عشر الى العراق والبصرة وذلك لدراسة المصالح البريطانية هناك والسبل الكفيلة لعرقلة تلك المصالح، فكانت الحصيلة ان كتب لنا كتابه الشهير بثلاثة اجزاء عن تاريخ المنطقة، وكذلك الحال مع القنصل الروسي آداموف في البصرة[4].

وآخرين ولذلك فان صراع الاهداف هذا هو الذي شكل الاعتقاد السائد من ان هدف تلك الرحلات هو «التجسس وجمع المعلومات» فقط لحكومات اولئك الرحالة وهو شيء لايمكن نكرانه.

ولكن ذلك يجب ان لا ينسينا الدافع الفردي وحب الاطلاع والمغامرة الذي كان وراء الكثير من تلك الرحلات وخاصة تلك التي بدأت اثناء او بعد عصر النهضة الاوربية التي اكدت على قدرات الانسان وطاقاته الخلاقة ودعوتها الى اكتشاف المجهول . لقد ساد اوربا نزعة واضحة للترحال والاكتشاف فيما وراء البحار ليس باتجاه الشرق وانما حتى في الغرب[5] في مرحلة ما بعد حركات الكشف الجغرافي حتى لخص تلك النزعة Walter Raleigh بان «جو العصر الاليزبيثي هو ذلك الجو المليء بالتوقعات والنجاح، فاحياء العلوم الكلاسيكية فتح الباب على مصراعيه على كل التراث الكلاسيكي، وان اكتشاف العالم الجديد يبدو وكأنه ازاح الستار ليتمكن الانسان من النظر الى مستقبل رائع. . . .»[6].

ولذلك فان تلك النزعة برزت بصورة واضحة في الكثير من كتب الرحلات المبكرة ، كتب لودفيكودي ڤارتيما وهو احد نبلاء مدينة روما الذي زار الشرق في ١٥٠٤:

«فاذا ما سألت عن سبب رحلتي ، بالتأكيد فاني لا ارى سبباً افضل من تلك الرغبة الجامحة للمعرفة التي كانت سبب الكثير من الرحلات لرؤية العالم ومعجزات الخالق. ونظراً لكون البعض قد سافر الى بعض اجزاء العالم بما فيه الكفاية، فاني قررت زيارة ووصف تلك الاجزاء التي لم تكن معروفة من قبل. . . . .»[7].

اما تاجر البندقية المعروف Ceaser Fredrick الذي جاس الشرق ايضاً عام ١٥٦٣ فقد ذكر في مقدمة رحلته «نتيجة لرحلاتي العديدة في الهند الشرقية وما بعدها التي استغرقت ثمانية عشر عاماً لاقيت النجاح والاخفاق ولكني رأيت وادركت اشياء جميلة ورائعة يجب تسجيلها ونشرها ليعرفها هذا العالم. . . .»[8].

ولا يقل الرحالة البرتغاليون صراحة عن سابقيهم في

ذكرهم للدافع الذاتي في رحلاتهم الشرقية، فنرى Pedro Teixiera الذي بدأ رحلته من الهند عام ١٦٠٢ يصر على السفر عبر الخليج العربي الى حلب بالرغم من توتر العلاقات العثمانية ـ البرتغالية انذاك حيث يقول «ان رغبتي ملحة لمعرفة هذا الجزء من العالم»[١٠] في حين ذكر الاب الكرملي غمودنهو نفس الاصرار في رحلته عام ١٦٦٣ عندما كتب « انه بالرغم من التحذيرات التي حذرني منها اصدقائي . . . بعدم الذهاب عن طريق الصحراء للمخاطر الجمة . . . ولكني ارغب بالاطلاع على احوال هذه الصحراء . . . »[١١].

ولا تخلو الرحلات الفرنسية كذلك من دافع حب المعرفة والاطلاع فقد تحدث تيفنو عن دافع رحلته الاولى عام ١٦٦٨ عندما ذكر انه يريد «توسيع معرفته وتحسين ثقافته والبرهنة على طاقاته وابداعاته في هذا المجال» واكد الهدف نفسه في رحلته الثانية عام ١٦ وهو حب الفضول والتعلم Curiosty and Learning [١٢] اما تافرنيه فهو من الرحالة الاوربيين القلائل الذين جابوا الارض بنطاق واسع . ففي رحلاته الست (١٦٣٢ ـ ١٦٦٨) التي جاس فيها اغلب الاقطار الاوربية وبلدان الشرقين الادنى والاوسط واقطار الوطن العربي حتى قال عن نفسه في مقدمة رحلته :

«لو جاز لي ان اعد اثر التربية عليّ ثانية ، لقلت واثقا باني جئت الى هذا العالم وفيّ رغبة في الاسفار . . . .»[١٣].

ومهما تنوعت وتعددت اهداف تلك الرحلات الاوربية الى الشرق العربي خلال الفترة موضوع البحث (١٥٤٧ ـ ١٩١٣) فمن الممكن تحديد فترتين متباينتين لتلك الرحلات من حيث اهدافها ودوافعها وكذلك اسلوبها ومنهجها وهي :

المرحلة الاولى :

تمتد من وصول الاتراك العثمانيين الى المشرق العربي حتى منتصف القرن الثامن عشر حيث تزايد الاهتمام الاوربي بالمنطقة وخاصة البريطاني منه ولم يكن الدافع الاقتصادي هو البارز وانما الدافع الذاتي وحب الاطلاع وجمع المعلومات ولذلك فان تلك الرحلات يطغي على اسلوبها ومنهجها البساطة والاختصار ولم تهتم بالتفصيلات الدقيقة عن المناطق التي تذكرها. ان رحلات القرن السادس عشر مثلاً لا تذكر شيئاً ذا اهمية عن مدينة البصرة ولا عن الطرق التجارية منها وحتى تلك التي سلكها الرحالة انفسهم في الوصول اليها كما يبرز ذلك واضحا في رحلات قيصر فردريك عام ١٥٦٣ . والرحالة الانكليز نيوبري دفيج وآيلدرد عام ١٥٨٣ . والرحالة تاجر البندقية الشهير كاسبار بالبي في ١٥٩٠ وعلى العكس تماماً من رحلات القرون اللاحقة .[١٤]

والمرحلة الثانية:

جاءت اهداف وغايات رحلاتها معقدة ومتنوعة لانها تمثل فترة ما بعد غزوة نابليون لمصر، وفتح قناة السويس، وسكة حديد برلين ـ بغداد . حيث اخذت الانظار تتوجه الى بلاد وادي الرافدين لاستكشاف طريق الفرات كطريق بديل للقناة للوصول الى الهند. ولذلك فان عدد رحلات هذه الفترة هي اكبر بكثير من رحلات الفترة الاولى، فاذا اخذنا عدد الرحلات التي ذكرها لونكريك، برغم تحفظنا عليه. نرى ان ٢٤ رحلة فقط للفترة ١٥٥٣ ـ ١٦٩٥ مقابل ٧٤ للفترة ١٧٢٠ ـ ١٩١٣[١٥] ولذلك فان رحلات هذه الفترة ونتيجة لتعدد وتنوع اهدافها تميزت بغزارة مادتها ومنهجها التحليلي الذي لايعتمد في مادته على المشاهدات المباشرة لاولئك الرحالة فقط وانما تستخدم المادة التاريخية والجغرافية والاجتماعية لمدينة البصرة في الوقت الذي نلاحظ نكسيرا كتب عن البصرة عام ١٦٠٤ مادة لاتتعدى ١٠ ـ ١١ صفحة فقط كتب فوثانيه في ١٨٨٤ خمسة فصول عنها تضم اكثر من مائة صفحة وما كتبه دي لاڤال لا تتجاوز عشر صفحات فقط كتب بكنغهام عام ١٨١٦ اكثر من سبعين صفحة، وما كتبه فيليب اوليفيه صفحة واحدة او صفحتين عام ١٦٥٢ . نلاحظ اداموف كتب في ١٩١٢ كتابا بجزءين عن البصرة وهكذا . . .

ومهما تكن غايات تلك الرحلات واساليبها واهدافها . فقد احتلت البصرة مكانة بارزة فيها وذلك بسبب اهميتها التجارية في العصر الحديث، وشهرتها التاريخية المعروفة وموقعها الاستراتيجي المهم فتلك الرحلات لا تتحدث كثيراً، عن تاريخ انتقال البصرة من موقعها القديم (قرب النهر الحالية) الى موقعها

الحديث الحالي (البصرة القديمة الحالية) وهو ما يزال مثار جدال ونقاش عداً تكسيرا الذي ذكر ان موقعها الاخير ما هو الا الموقع الثالث الذي انتقلت اليه المدينة ولكن دون ان يشير الى موقعيها السابقين.[١٨]

وتجمع تلك الرحلات على ان المدينة في الفترة العثمانية كانت تبعد عن الضفة اليسرى لشط العرب بحوالي الميل الى ميلين لكن رحالة القرن السادس عشر لا يتحدثون شيئاً عن استخدامات الارض فيها، وبالرغم من مكوث الرحالة الانكليزي جون ايلدرد ستة اشهر فيها عام ١٥٨٣ فانه لم يترك لنا وصفا عنها سوى ذكره بان مساحة نطاقها السكني تبلغ ميلاً ونصف وان بنايتها وقلعتها واسوارها مبنية من اللبن المجفف في الشمس[١٩].

لكن تكسيراً اكثر وضوحاً عندما ذكر عام ١٦٠٤ بان البصرة «كانت محاطة باسوار يبلغ ارتفاعها ثلاث ياردات، وتقع قلعتها المربعة الصغيرة على الضفة، عند التقاء (قناة العشار الحالية) بالنهر، وان بعض اجزائها مهدمة لحدوث انفجار هائل فيها قبل وصولي الى المدينة بثمانية او عشرة ايام وذلك لاستخدامها كمخزن للعتاد حيث كان ٥٠٠ كيس من البارود فيها ، وسماها تكسيرا بقلعة الترك Fort of Turks ، ويبدو ان تكسيرا لم يكن دقيقاً عندما ذكر ان مكان المدينة البالغ عشرة الاف شخص كانوا يسكنون تلك القلعة. بالاضافة الى دار الحكومة فيها، ربما يقصد في ذلك انهم كانوا يسكنون داخل السور وليس القلعة؟.[٢٠]

وعلى العكس مما ذكره تكسيرا، فان دي لافال الذي زار المدينة عام ١٦٢٤ لا يشير الى وجود اسوار Walls للمدينة وانما يذكر استحكامات ترابية Earthem Rampart اقامها السكان بسبب حروب المدينة مع بلاد فارس، ولكن لا يذكر طولها الذي لابد ان يكون كبيرا لانها مدينة كبيرة ومأهولة بالسكان وان كانت بيوتها غير منتظمة... وتضم ساحة كبيرة معروضة فيها بعض قطع المدفعية ، من ضمنها بعض الاسلحة البرتغالية التي استولى عليها عرب البصرة من مسقط عندما كانوا يجوبون البحار بسفنهم...»[٢١].

ويؤكد تافرنيه ما ذكره دي لافال حيث يشير في عام ١٦٨٦ الى كون «البصرة كبيرة وتقع داخل اسوار ترابية Walls of Earth يبلغ طولها ست ساعات مشيا على الاقدام ويحتوي ذلك السور على ثلاثة ابواب وهي : البوابة الشرقية، والبوابة الغربية، وبوابة بغداد وهنالك مساحات كبيرة من الارض ما بين تلك الاسوار والنطاق السكني للمدينة لا توجد فيها الحدائق ولا اشجار النخيل...»، ويخرج الحجاج الى مكة من بوابتها الشرقية عند مقام علي Dgiam—Hall[٢٢].

ويبدو مما تقدم ان سور البصرة بقي عبارة عن سداد ترابية عالية لفترة غير قصيرة من القرن السابع عشر حتى ادراك حكام المدينة وباشواتها عدم كفاءة تلك الاسوار وضعف تحصيناتها انذاك حيث ذكر الاب الكرملي الايطالي فنشنسو الذي زار المدينة عام ١٦٥٦ من ان حاكم المدينة «طلب اكثر من مرة وضع مخطط جديد لها وتحصينها جيداً على مثال ما تم في مالطه... بل واراد تحصين القرنة (الخط الدفاعي الاول عن البصرة) كي يعيش فيها بامن وسلام. وباشر فعلا، ببناء مخططين للمدينة بالقرب من النهر، ثم توقف عن البناء وبالامكان مشاهدة ذلك ، حيث قيل ان سبب توقفه هو قلة الجص الذي يجلب من اطراف الخليج وافتقار البصرة الى الحطب اللازم الذي يشعل لفخر اللبن»[٢٣] ويؤيد ذلك تيفنو وفيليب اللذان زارا البصرة في ١٦٥٢ و١٦٨٦ ولكنهما يريان ان الباشا تخلى عن رغبته في بناء مدينة جديدة بالقرب من القلعة الواقعة على ضفة شط العرب عند التقائه بقناة (العشـــار) خوفا من مهاجمة الانكليز والهولنديين ولاتفه الاسباب»[٢٤].

لا ينكر ان انشاء مدينة جديدة على الضفة اليمنى من شط العرب ربما تكون اكثر ملاءمة لتجارة البصرة وسكانها على السواء وذلك بايجاد ميناء يطل مباشرة على النهر يكون قادراً على استيعاب السفن الكبيرة لعمق المياه وان استخدامات المياه لاغراض الشرب افضل مما عليه في قناة العشار التي اصابها التلوث نتيجة استخدامات السكان اليومية لها ولكن الاسباب التي اوردها اولئك الرحالة تبدو غير كافية لتفسير توقف حسين باشا افر اسباب عن بنائه لمدينته الجديدة ، ربما عدم استقرار الاوضاع

السياسية في المدينة وعدم توفر الموارد المالية الكافية من الاسباب الواضحة وراء ذلك، وخاصة اذا ادركنا ان مثل تلك المشاريع تحتاج الى فترة زمنية طويلة قد لا تتوفر لحاكم واحد ، وان واردات باشوية البصرة انذاك لا تتجاوز ٨٠٠ الف قرش سنويا»[٢٩].

وعلى اية حال ، يبدو ان سور البصرة والتركيب الداخلي للمدينة اتخذ شكله النهائي في القرن الثامن عشر ، فبالرغم مما ذكره الرحالان الانكليزيان بلاستيد وكار مايكل اللذان زارا المدينة في ١٧٥٠ و ١٧٥١ على التوالي ووصفوها بانها «مدينة كبيرة لكن بناءها غير منظم وبيوتها تتألف من طابقين ومبنية من اللبن المجفف في الشمس ، وليس فيها بنايات مميزة عدا مساجدها التي هي في حالة رديئة ايضاً كما هو الحال بالنسبة لسورها الذي لايمكن اصلاحه الا بصعوبة»[٣٠] لكن الرحالة الدانيماركي كارستن نيبور اول رحالة ترك لنا وصفاً دقيقاً للبصرة التي زارها عام ١٧٦٥ حيث قال ان اسوارها مازالت مبنية من الطابوق (اللبن) المجفف في الشمس، الذي صب بشكل خاص وتحتوي على خمسة ابواب وليس ثلاثة كما ذكرها تافرنيه في ١٦٨٦، وهي: باب الرباط، وباب الزبير، وباب بغداد ، وباب مجموعة، وباب السراجي[٣١] وهي نفس البوابات التي ذكرها بكنغهام عام ١٨٨٦ فيما بعد والتي بقيت حتى مطلع هذا القرن[٣٢].

ولكن ما اغفله نيبور من سور البصرة هو اجزاؤه ولا سيما ذات الطبيعة العسكرية، التي جاءتنا من الرحالة الانكليزي بارسنز الذي مكث في المدينة فترة غير قصيرة اثناء حمله كريم خان عام ١٧٧٥ ووصف اساسات السور بانها «قوية ومتينة ومبنية من الطابوق المجفف الذي يصل ارتفاعه في السور حتى مستوى سطح الماء المجاور في الخندق»[٣٣] وان الخندق المحيط بالسور مكون من قناتي الخورة والخندق الحاليتين حيث يسير بمحاذاتهما ابتداء من التقائهما بشط العرب وحتى اطرافهما عند بوابة الزبير. ولذلك اتخذ سور البصرة شكلا مستطيلا تقريباً ويبلغ محيطه ما يقرب من ثمانية اميال ومن هذا يبدو ان سور البصرة لا يتميز عن اسوار المدن العراقية الاخرى انذاك في شكل محيطه، وانما في كونه محصناً بخندق مائي كبير يحيط به في اجزائه الشمالية والشرقية والجنوبية ولا يرتبط باليابس الا في طرفه الغربي عند التقائه بالصحراء باتجاه هضبة الزبير، ولذلك سيلعب هذا دورا بارزاً في افشال الهجمات الخارجية على المدينة ولا سيما هجوم كريم خان عليها انذاك.[٣٤]

يبلغ سمك السور ٢٠ ـ ٢٥ قدماً ويوجد في اعلاه ثمانية مشارف (مزاغل) Bastions ، وفي كل شرفة ثماني مدافع وثماني بنادق، ومقابل كل مزغل في اسفل السور عدد من المدافع المحمولة بالعربات الصغيرة، لكن تلك الاسلحة قديمة وغير صالحة للاستعمال. ويؤيد بكنغهام بارسنز بان تلك المزاغل تستدير باستدارة السور وترى فيها مصادفة محلات للمدافع وان لم تكن مرتفعة كثيرا، وان بعض اجزاء السور محصنة بابراج مستديرة ومتوجه بشرفات، لكن حالة تلك الاسوار مزرية بسبب عدم اجراء التعليمات التي تحتاجها في حينه وتبدو اشبه بالاسوار لمدينة مهجورة اكثر منها باسوار تحيط بمدينة مأهولة[٣٥] . ولعل عدد المزاغل التي ذكرها بارسنز اقرب الى الدقة من العدد «٩٩ مزغلا» وهو الذي اورده بلاستيد عام ١٧٥٠[٣٦].

ومهما تكن حالة السور في البصرة فانها لا تختلف كثيراً عن احوال اسوار المدن العراقية الاخرى كأسوار مدينة بغداد مثلاً التي لم تكن بحالة جيدة على الدوام الا في حالة وجود خطر واهم. ولكن ما تختلف فيه مدينة البصرة بالتأكيد عن بقية المدن الاخرى هو في استخدامات الارض وخطط العمران فيها طيلة الفترة. موضوع البحث حيث يمكن تمييز نطاقين هما:

النطاق الاداري والعسكري:

يقع بالقرب من ضفة شط العرب اليمنى ويشتمل على محلتي المناوى على الضفة اليمنى من قناة العشار والمقام على الضفة اليسرى ، وتضم المناوى التي كانت خارج السور حتى مده اليها حسين باشا افراسياب على القلعة الصغيرة المربعة[٣٧] التي ذكرها تكسيرا في ١٦٠٤ وتافرنيه في ١٦٥٢ التي «لايمكن لاية سفينة دخول القناة من النهر دون اذن منها»[٣٨]، بالاضافة الى مسجد ذي منارة صغيرة والى بعض المخازن لطرح الاخشاب والمواد اللازمة

لصناعة السفن والزوارق الصغيرة. واما المقام فانه يضم دائرة الكمارك عند الضفة ومقهى ومسجداً ومساكن لاولئك الذين اجتذبتهم الاعمال الحكومية هناك والميدان يقع بعد دائرة الكمارك وهو ساحة مربعة كبيرة لا تستخدم فقط حقل، خارج السور[٣] وليس محلة سكنية وحتى المحلات التي تحمل اسماء اشخاص (ابن عبد شيخ جوهر، شيخ عمر، شيخ حبيب، شيخ بادي، محمد تخته، شيخ قنبر سيد رمضان، حسن داده، عز الدين، محمد جواد، عباس) هي ربما اسماء لبيوتات وعوائل اكثر منها محلات سكنية مستقلة اذ لم يبق منها حتى الان اية محلة (عدا عز الدين) وكذلك الحال بالنسبة لتلك المحلات التي تحمل اسماء حرف ومهن (الشربتية، مجصصة، الحدادة، معصرة، حصرجية، الخضراوية، خشابة، مقبيرة. . . .)، ربما تمثل مناطق تركز لتلك المهن والحرف اكثر منها مناطق سكن. وهذا يحملنا على الاعتقاد ان محلات المدينة السكنية اقل من ذلك العدد الذي ذكره نيبور بكثير وخاصة اذا ما ادركنا ان الرحالة اللذين جاءوا قبل نيبور وبعده، يجمعون على ان مساحة النطاق السكني للبصرة لا تتعدى ميلين مربعين باية حال من الاحوال، فاين يمكن استيعاب (الثلاث وسبعين) محلة فيها؟

ان تحديد المحلات السكنية وعددها لمدينة البصرة في عصرها الحديث لابد ان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعدد السكان الذي تضمه تلك المحلات والذي بقي موضع تخمين وجدل بين اولئك الرحالة الذين مروا بالمدينة او مكثوا بعض الوقت فيها. وطالما ان الاحصائيات المحلية عن سكان المدينة في هذه الفترة غير متوفرة فان تلك الارقام تفي مصدرنا الرئيسي في هذا المجال لعل تكسيرا اول رحالة اوربي ذكر ان البصرة تضم في ١٦٠٤ عشرة الاف بيت اي ما يقارب ٥٠ الف شخص اذا اعتمدنا معامل ٥ اشخاص لكل بيت[٤]. في حين قدر غودنهو بيوتها بثلاثين الفاً عند زيارته لها في ١٦٦٣[٥] وهذا التخمين ربما تعوزه الدقة، لانه اذا اخذنا ارقام تكسيرا بنظر الاعتبار وهي اقرب الى الصواب، فليس من المعقول ان يتضاعف عدد البيوت ثلاث مرات في فترة نصف قرن.

اما في القرن الثامن عشر، فان نيبور هو الرحالة الوحيد الذي قدّر سكان المدينة باسلوب علمي وهو ذكر عدد المحلات وعدد البيوت لكل محلة وعدد الاشخاص لكل بيت، حيث قدرها بسبعين محلة (وان اورد اسماء ثلاث وسبعين محلة) وقدر مئة بيت لكل محلة وسبعة اشخاص لكل بيت، وبذلك يبلغ عدد السكان حوالي ٤٩ الف نسمة، ولكنه شك في النهاية من ان عدد سكان المدينة لاينجاوز اكثر من اربعين الفاً.[٦] حقيقة ان المدينة تعرضت الى الطاعون القاسي في ١٧٧٣ والى الغزو الاجنبي في ١٧٧٥ الذي ادى الى خسارة نسبة عالية من سكانها الى الحد الذي وصل فيه عدد سكانها اكثر بقليل من ثمانية الاف نسمة في ١٧٩٠ عندما زارها تايلر.[٧]

جدول رقم (١) (*)

اسماء محلات مدينة البصرة كما ذكرها الرحالة كارستن نيبور

١٧٦٤

الاسم بالعربية	الاسم بالالمانية	الاسم بالعربية	الاسم بالالمانية
١: المناخ	Manach	٧: الدوغ	Doagh
٢: المشراق	Mischrak	٨: ام البلابل	Om el Bellabil
٣: دنانيك	Denanik	٩: ام البزازين	Om el Bisaasin
٤: ابن عيد	Iben Aid	١٠: شيخ بادي	Schech Badi
٥: عباية	Abaieh	١١: شيخ قنبر	Schech Kumber
٦: ميدان العبيد	Meidan al Abid	١٢: شيخ جوهر	Schech Dsjohar

١٣ : ام الطنوق	Om el Ettonuk	Samke
١٤ : قبلـه	Kable	Bahama
١٥ : شيخ عمر	Schech Omer	Dsjusser el Abid
١٦ : مدبغة	Medbuga	Balled Essias
١٧ : نهر البنات	Naher el Benat	Doagh
١٨ : الشيخ حبيب	Schech Habib	Holal
١٩ : جسر اللوح	Dsjusser ellauh	Mokam
٢٠ : مكول	Megkul	Mehallet el Dsjedide
٢١ : المعدان	Maadan	Naduran
٢٢ : محمد تخته	Mohammad Tachate	Sabcha
٢٣ : حمام كوت	Hammam Kud	Maasra
٢٤ : محلة القاضي	Mehallet el Kadi	El Kchodder
٢٥ : محلة العرصة	Mehallet el Arsa	Hadade
٢٦ : محلة سيد رمضان	Mehallet Said Rammadan	Chalife
٢٧ : محلة الافغان	Mehallet el Afghan	Scherbatie
٢٨ : حكاكـه	Hakake	Mehallet el Ihud
٢٩ : محلة مرجانـه	Mehallet Murdsjana	Hasirtchie
٣٠ : حسن داده	Hassan Dade	Seimer
٣١ : الكواز	Kauas	Faiale
٣٢ : بستان قصب	Bustan Kasab	Dsjusser el Haus
٣٣ : كوارخين	Kauarchin	Chaschabe
٣٤ : عز الدين	As Eddin	Mehallet Essai
٣٥ : محلة خان زكار	Chan Zikkar	Menaui
٣٦ : القطانـه	El Kotana	Brahe
٣٧ : السيف	El Sif	Abbas
٣٨ : حوش الباشا	Hausch el pasha	First
٣٩ : جسر الغربان	Dsjusser el Gurban	Choddraule
٤٠ : المجموعـة	Medsjemoa	Kud el Kummerli
٤١ : مقبـرة	Mogaber	Medsjoessasa
٤٢ : صبغونيـة	Samgonie	
٤٣ : محمد جواد	Mohammem Dsjoad	
٤٤ : عروة	Arroa	

٤٥ : غمقـة	Samke
٤٦ : بحارنـة	Bahama
٤٧ : جسر العبيد	Dsjusser el Abid
٤٨ : بلد السايس	Balled Essias
٤٩ : الدوغ	Doagh
٥٠ : حلل	Holal
٥١ : المقام	Mokam
٥٢ : محلة الجديدة	Mehallet el Dsjedide
٥٣ : نظران	Naduran
٥٤ : الصبخة	Sabcha
٥٥ : معصـرة	Maasra
٥٦ : الخضـر	El Kchodder
٥٧ : الحدادة	Hadade
٥٨ : الخليليـة	Chalife
٥٩ : الشربتيـة	Scherbatie
٦٠ : محلة اليهود	Mehallet el Ihud
٦١ : حصرجية	Hasirtchie
٦٢ : الصمير	Seimer
٦٣ : فتـالة	Faiale
٦٤ : جسر الحوز	Dsjusser el Haus
٦٥ : خشابـة	Chaschabe
٦٦ : محلة الساعي	Mehallet Essai
٦٧ : منـاوي	Menaui
٦٨ : بريهـة	Brahe
٦٩ : عباس	Abbas
٧٠ : فرسي	First
٧١ : الخضـراوية	Choddraule
٧٢ : كوت الكومرلي	Kud el Kummerli
٧٣ : مجمصـة	Medsjoessasa

(*)Source : Niebur, op, cit, p. 173

ويلاحظ : ١ ـ المشراق : كتبت في الاصل مشارق ٢ ـ الدوغ : مكررة مرتين (٧ ، ٥٣)]

ولذلك فان ما ذكره بكنغهام في ١٨١٦ من ان نفوس البصرة ربما وصل الى نصف مليون نسمة وانها فقدت في طاعون ١٧٧٣ ثلاثمائة الف نسمة لهو امر تعوزه الدقة[١٦]، لان بعض احصائيات القنصلية البريطانية في بغداد، قدرت سكان العراق في منتصف القرن التاسع عشر بمليون وربع، كان عدد البدو منهم الذين يسكنون الصحراء نصف مليون شخص[١٨]، والبقية في المدن والريف، فكيف كانت البصرة وحدها تضم نصف مليون نسمة. ولا تختلف تقديرات بكنغهام عن تقديرات لوخر الذي ذكر ان البصرة فقدت مائتي الف نسمة في طاعون ١٨٣١[١٩]. لا ينكر ان طاعوني عام ١٧٧٣ و ١٨٣١ كانا قاسيين حتى في مدينة بغداد التي فقدت في الاول ٥٠ ـ ٦٠ الف شخص وما يقرب ذلك الرقم في الطاعون الثاني[٢٠].

ان المبالغة في حجم خسارة السكان نتيجة تفشي الطاعون ربما يعكس حاله الخوف والهلع الذي اصاب المدينة لسرعة انتشار ذلك الوباء وعدم توفر وسائل الوقاية منه، ولكن بالرغم من ذلك، نلاحظ ان سكان المدينة تزايدوا خلال الربع الاول من القرن التاسع عشر حيث تذبذب سكان المدينة ما بين ستين الف وثمانين الف كما اورد ذلك بارسنز ودوبريه وهيود وكيل، وبالرغم من تعرض المدينة الى الكوارث الطبيعية والامراض في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فان عدد السكان بقي حتى مطلع هذا القرن مستقراً حول الاربعين الفاً. اما ارقام القنصل الروسي في البصرة الكسندر اداموف في عام ١٩١٢ فلا تساعدنا على معرفة عدد السكان بدقة في المدينة لانه ذكرها لكل ولاية البصرة التي كانت تضم المدينة والاقضية والنواحي التابعة لها[٢١]. وعلى اية حال، لوقارنا عدد سكان مدينة البصرة بعدد سكان مدينة بغداد مثلاً لوجدنا البصرة اقل كثافة من بغداد التي ظل عدد سكانها يتذبذب حول مائة الف نسمة طيلة القرن الثامن عشر ومائة وخمسين الفا طيلة النصف الاول من القرن التالي عدا فترات الطاعون والكوارث الطبيعية الاخرى التي ضربت المدينة[٢٢]. ولكن اذا قارنا سكان مدينة البصرة في اواخر القرن التاسع عشر بعدد سكان بعض موانىء الخليج العربي المهمة آنذاك، كالمحمرة، ومسقط، والكويت، مثلاً لوجدنا البصرة اكثر كثافة في سكانها من كل تلك الموانىء وفي الوقت الذي وصل عدد سكانها في ١٨٨٩ اربعين الفاً، كان سكان المحمرة آنذاك ٥٦٠٠نسمة، وفي عام ١٩٠٩ عندما ارتفع سكانها الى ستين الفا كان سكان الكويت في العقد الاول من القرن العشرين اثني عشر الفاً، وقطر وعشائرها ستاً وعشرين الفاً والقطيف وضواحيها عشر الاف نسمة فقط ..... الخ[٢٣].

جدول رقم (٢)

عدد سكان البصرة ١٦٠٤ ـ ١٨٨٨

كما اوردها الرحالة الاوربيون

اسم الرحالة		السنة التي زار البصرة فيها	عدد السكان/شخص
١: ب، تكسيرا	pedro Teixiera	١٦٠٤	١٠ الف بيت
٢: ب. دي لافال	Della Valle	١٦٢٣	مأهولة بالسكان
٣: أ. كاريه	Abbe Carre	١٦٢٤	مأهولة بالسكان
٤: ر. ب. فيليب	R.P. Philipe	١٦٣١	ـــ ـــ
٥: ثافرنيه	V.Tevernaie	١٦٥٢	ـــ ـــ

٦: م. غودنهو	M. Godinho	١٦٦٣	٣٠ الف بيت (١٠٠ الف نسمة)
٧: ثيفونو	Thevenot	١٦٨٦	مأهولة بالسكان
٨: ك. نيبور	C, Niebure	١٧٦٤	٥٠ الف
٩: ج. تايلر	J. Tayler	١٧٩٠	٨ الف (؟)
١٠: بارسنز	Parsons	١٨٠٨	٨٠ الف ـ ٩٠ الف
١١: دوبريه	Duprieh	١٨٠٩	٦٠الف
١٢: بكنغهام	J. Buchkingham	١٨١٦	١٠٠ الف
١٣: و. هيود	W. Hude	١٨١٧	٨٠ الف
١٤: ج. كبل	G. Kapple	١٨٢٤	٦٠ الف
١٥: ج. اشر	J. Usher	١٨٥٦	٥ الف ـ ٦ الف (؟)
١٦: أ. شيفرد	A. Shepherd	١٨٥٧	٦٠ الف
١٧: أ. لوخر	A. Locher	١٨٨٩	٤٠ الف

ومما لاشك فيه ، كان العنصر العربي يشكل الغالبية العظمى بين سكان المدينة على الدوام في الفترة موضوع البحث. وبما ان البصرة مركز تجاري حدودي وميناء بحري مهم فمن الطبيعي ان نجد المدينة تضم بعض الاقليات الدينية والجاليات التجارية من كل اقطار اسيا، ولكن لانملك ارقاماً دقيقة عن حجم كل اقلية او جالية ما عدا ما ذكره بكنغهام في ١٨١٦ حيث ذكر وجود ٥٠ عائلة من الارمن، و ١٠٠ عائلة من اليهود ، و ٢٠ عائلة من الكاثوليك،[٥١] وارقام آداموف عن عدد تلك الاقليات في مطلع هذا القرن لا تساعدنا كثيراً في معرفة حجمها في المدينة لانه ذكرها لولاية البصرة وليس للمدينة فقط[٥٢] .

ويجمع الرحالة الذين زاروا البصرة من ان سكانها يحترمون الاجانب ، ولم اشاهد في اي مكان زرته من قبل مثل ذلك الاحترام، كما ان هناك نوعاً من التسامح الديني بين كل الطوائف التي تسكن المدينة ، كما ذكر بكنغهام[٥٣]، ويؤيده في ذلك استون شفرد الذي زار البصرة في ١٨٥٧ الذي كتب ان في «كل رحلاتنا داخل المدينة وفي اريافها القريبة وجدنا السكان مؤدبين ويعملون على اكرامنا بالتمر واللبن والحليب وكل شيء يستطيعون تقديمه. . . . .»[٥٤] وحتى حكام البصرة وباشواتها نظروا الى تلك الاقليات نظرة ود واحترام فيذكر الاباء الكرمليون الايطاليين فنتشنسو وسبستياني اللذين زارا البصرة في ١٦٥٦ ان اميرها حسين باشا (آل افراسياب) كان ينظر نظرة ود واحترام الى الاباء الكرمليين ويلبي طلباتهم ويعاملهم كأصدقاء له، وقام بزيارة الدير ودخل كنيسته وبستانه فامر بشق ترعه على نفقته، كما سمح للاب منصور الذي كان صديقه ان يشيد غرفا جديدة من اجل راحته وفائدة الدير،[٥٥] اما دي لاڤال فيذكر «انه بعد ان انهى الاباء الكرمليون بناء كنيستهم في ١٣ نيسان ١٦٢٤ حضر الباشا بنفسه اليها في اليوم التالي لزيارتها. . .»[٥٦] ويؤيد نيبور ذلك حيث اكد بان حسين باشا منح حرية واسعة للمسيحيين واجتذب كثيراً منهم للاستقرار في المدينة. .»[٥٧].

ويبدو ان وصول الكرمليين الى البصرة اقدم من وصول الاوغسطينيين البرتغاليين اليها. في ١٦٠٤، ذكر تكسيرا انه «شاهد بيتاً» يشبه الابرشية يقع على الضفة الاخرى للنهر وانه يرجع الى جماعة عيسى بن مريم وتتبعه مساحات شاسعة من الاراضي ومزارع النخيل حيث لم اسمع بوجود مثل تلك الابرشية لعبادة السيد المسيح»[٣٢] وهذا نفس الوصف الذي ذكره الاب الكرملي الرحالة فنشنسو الذي وصل البصرة عام ١٦٥٦، وبذلك فان وصول الكرمليين الى البصرة ليس في عام ١٦٢٣ كما يعتقد البعض وانما اقدم من ذلك[٣٣]. ففي ذلك الدير نزلت الرحالة الفرنسية كاريه عام ١٦٢٧[٣٤] وفيه نزل الاباء الكرمليون فنشنسو ومبستياني حيث ذكروا:

«اعجبنا ذلك الدير الذي يعد من بيوت البصرة الحديثة ويحتوي على مختلف المرافق الضرورية الخاصة بالاديرة: فناء تحيطه اروقة، في وسطه حديقة عامرة بالازهار وكانت كنيسة الدير على اسم العذراء مريم .... هناك في الطابق الارضي غرف الاستقبال، اما الطابق العلوي ففيه صوامع الرهبان تعلوها السطوح التي ينام فوقها الرهبان في الصيف...»[٣٥]

ويبدو ان الكرمليين بنوا كنيسة اخرى في البصرة حيث ذكر دي لاڤال ان الاب الكرملي Basilio de San Francisco انهى عام ١٦٢٤ بناء كنيسة صغيرة ومعبد لجمعيته في البصرة سماها Nostra Senora del Remedi واقام وليمة حضرها كافة المسيحين الاوربيين في المدينة[٣٦]، ويؤيده تيفنو الذي ذكر في عام ١٦٨٦ ان الاباء الكرمليين في البصرة يملكون بيتاً وكانت الكنيسة في ذلك البيت حيث تقدم خدماتها ليس فقط للفرنجة وانما للنساطرة والارمن الذين يأتون الى المدينة خلال موسم التجارة.»[٣٧]

اما نيبور فيشير في ١٧٦٤ الى ان تلك الكنيسة قد تهدمت ويقوم راهبان ينتسبان الى المذهب الكاثوليكي الروماني بتشييد كنيسة صغيرة للمرة الثالثة[٣٨].

ولا تذكر لنا كتب الرحلات تفصيلات عن ادارة ونشاطات الاباء الكرمليين في البصرة عدا بعض الاشارات عن اولئك الاباء الذين تولوا الاشراف على الكنيسة ويعتبر الاب كازميرو الكرملي من ابرزهم وهو فلمنكي الاصل وهو عالم بارع يتقن عدة لغات ويكن له الهولنديون في المدينة احتراما كبيراً[٣٩].

اما غودنهو فقد ذكر ان الاب الكرملي Braz de Santa Barbara قام بضيافته اثناء مكوثه في المدينة عام ١٦٦٣[٤٠]. ولكن اخذ الكرمليون وجميعهم يفقدون مكانتهم في البصرة بسبب تمو فرعها في بغداد في اواخر القرن التاسع عشر فتقلصوا نشاطهم تدريجياً حتى لم يبق لهم في المدينة سوى مدرسة واحدة للبنين واخرى للبنات وان اعيد جزء من نشاطهم فيما بعد لمجيء الراهبات الفرنسيات اليها عام ١٨٩٩ لفترة قصيرة..[٤١]. اما المسيحيون الاوغسطينيون وهم في الغالب من البرتغاليين فكان مجيؤهم الى البصرة بعد وصول الكرمليين اليها، فيذكر دي لاڤال في ١٦٢٥ انهم لم يبنوا كنيستهم في المدينة بعد بسبب الحروب والغارات التي كانت تتعرض لها.. وانما كانوا يمارسون طقوسهم في بيت مؤجر ويدفع الباشا تلك الاجور.... وكان الاب Conalvo Martin de Castbranco زعيما للبرتغاليين في البصرة[٤٢]، ويبدو ان ليس لتلك الاقلية دور كبير في المدينة وعلى عكس سابقتها حيث ذكر تاڤرنيه الذي زار البصرة في ١٦٥٢ بان اولئك الرهبان غادروا البلدة منذ انقطاع البرتغاليين عن المتاجرة معها، في حين ذكر غودنهو في ١٦٦٣ وجود اثنين من الاباء الاوغسطينيين البرتغاليين في المدينة ولكن لم يذكرهم بالاسم[٤٣].

مما تقدم يبدو ان الاهمية التجارية للمدينة هي التي ادت الى بروز اهميتها الدينية للاوربيين فالى جانب تلك الاقليات كانت هناك الجاليات التجارية الاجنبية في المدينة التي كانت اقامتها فيها اما مؤقته او بصورة دائمة. فيذكر الرحالة الفرنسي فيليب الذي زار البصرة في ١٦٥٢ ان التجار البرتغاليين اعتادوا على مغادرة البصرة في اواسط شهر تشرين الاول من كل عام بعد نهاية موسم جني التمور فيها[٤٤] وذلك بشرائها وتصديرها الى الهند، اما تيفنو فكان اكثر وضوحا حيث ذكر في ١٦٨٦ في خلال فترة الموسم التجاري لاتزدحم البصرة بالتجار الاجانب القادمين من الهند فقط وانما باولئك التجار القادمين من بغداد لشراء السلع الهندية حيث يكون السكن نادراً جداً فيها...[٤٥] ففي ذلك الموسم تصل السفن التجارية من الخليج العربي الى البصرة في

نهاية تموز من كل عام وتبقى هناك حتى نهاية تشرين الاول لانها لا تستطيع الخروج من شط العرب بسبب هبوب الرياح المعاكسة (الجنوبية الشرقية)، بعد ذلك تبدأ الرحلات النازلة الى الهند وتستمر حتى مايس من السنة التالية.

وهكذا يبدو ان نمط التجارة الاوربية مع البصرة في الفترة ما قبل انشاء الوكالات التجارية الدائمة كان نمطاً موسمياً يشبه الى حد كبير نمط التجارة الاوربية في العصور الوسطى وعصر النهضة حيث لم يكن حجم الانتاج الاجمالي كافياً لقيام الاسواق العالمية بصورة دائمية ويقوم فيه التاجر المتنقل بدور رئيسي فيه اذ سرعان ما يبيع بضاعته في البصرة ليشتري منها بضاعة اخرى ينقلها معه الى هرمز او سورات او صلب ليبيعها هناك وهكذا.

ولعل هذا النمط من التجارة هو الذي يفسر لنا عدم ورود تفصيلات دقيقة عن مدينة البصرة في رحلات اولئك الاوربيين من التجار الذين مروا بالمدينة في الفترات المبكرة من العصر الحديث. فتاجر البندقية المعروف قيصر فردريك ذهب عام ١٥٦٣ من حلب الى الهند عبر بغداد والبصرة وهرمز ولكن دون ان يترك لنا ملاحظاته عن المدينة وفي عام ١٥٦٥ وجد في احدى القوافل التجارية المتجهة من البصرة الى حلب تسعة من التجار البنادقة وجماعة من البرتغاليين بزعامة Antonio Teixiera ولكن لانعرف تفصيلات رحلتهم وكذلك الحال مع تاجر البندقية الاخر كاسبار باني الذي مر بالبصرة في ١٥٧٩. وحتى رحلة اولئك التجار الانكليز نيوبري ـ آيلدرد ـ فيج (الاخير يوصف بانه من الرواد الانكليز في الهند) الذين كانوا برفقة تجار آخرين يحملون رسائل من الملكة اليزابيث الى اباطرة الصين والمغول، لم يتحدثوا عن البصرة والطريق الذي سلكوه، عدا ما ذكره آيلدرد من انه وزميله التاجر William Shales انزلوا تجارتهم في البصرة وقد كانت محملة على سبعين باركا Barks، ويجر كل بارك اربعة عشر رجلاً في رحلتهم النهرية. اما نيوبري فكان يبحث عن بعض المخطوطات العربية النادرة لشرائها لحساب ريجارد ماكليوث تاجر الكتب الانكليزي في مدينة اكسفورد حيث كتب له في ٢٨/مايس/١٥٨٣ ما يلي:

«سألت كثيراً في طرابلس بسوريا عن مخطوطة وصف البلدان لابي الفداء ولم اعثر عليها. وربما يمكن العثور عليها في بلاد فارس كما ابلغني البعض ولكن لم اذهب الى هناك بعد، وسابحث عنه في بابل والبصرة وحالما اجده سارسله لك ....»[٣٣].

ولا يختلف الرحالة الفرنسي ثافرنيه عن الرحالة المذكور اعلاه بالرغم من انه كتب عن البصرة بصورة مقتضبة جداً، فهو تاجر مجوهرات باريسي كان يحمل معه في رحلته الى الشرق عام ١٦٦٤ مجوهراته بقيمة ١٣٠ الف باون استرليني، باع قسماً كبيراً منها الى الشاه عباس الثاني في اصفهان في كانون الاول من تلك السنة، وقسماً اخر الى احد امراء الهند المسمى Aurangzeb في مايس من السنة التالية، بل ويذكر الرحالة الانكليزي كارمايكل ان القافلة التي كان يسافر معها المتجهة من البصرة الى حلب كانت تضم ثلاثة وثلاثين تاجراً مسيحياً، وسبعة من التجار اليهود وعشرين تاجرا من المسلمين تنقل تجارتهم ٦٠٠ جملاً وتقدر قيمة تلك التجارة بثلاثمائة الف باون استرليني».

ولكن تلك التجارة الموسمية لاتعني عدم وجود بعض الجاليات التجارية الاوربية في البصرة وخاصة الايطالية والبرتغالية منها أقدم الجاليات التي استقرت في المدينة، فعند مجيء تكسيرا عام ١٦٠٤ الى المدينة سكن في بيت احد التجار البنادقة وهو Santo Fonte الذي رافقه من هرمز الى البصرة حيث استقبلها في المدينة تاجر بندقي آخر وهو Jerom Ben Tempely الذي قدم لنا خدمات جليلة في المدينة كما ذكر تكسيرا وكان معهم على نفس السفينة التاجران البرتغاليان James de Melo de San Payo و John Pinto وهو تاجر ثري وذو سمعة حسنة وعلى علاقة قوية مع الايطالي Fonte ولم يغادر البصرة مع تكسيرا بسبب «مالديه من بضاعة كثيرة ليبيعها في المدينة...» ويبدو ان تلك الجاليات التجارية قد بقيت في البصرة حتى منتصف القرن الثامن عشر وعلى عكس الهولنديين الذين اختفوا منها عندما زارها نيبور الذي ذكر ان الايطاليين على اختلافهم موجودون في المدينة ويمارسون تجارة لابأس بها مع البندقية ولوفرنو عن طريق حلب وكان التاجر البندقي الشاب Leoni من ابرزهم ويملك تجارة كبيرة وله علاقات تجارية وثيقة مع بغداد.

ان البصرة كمركز تجاري اقليمي معروفة من خلال العديد من الدراسات، ولا حاجة لتكرار ما توصلت اليه تلك الدراسات فقد وصف غودنهو سوقها في ١٦٦٣ بانه اعظم سوق في هذه البحار»، «ويرسو في ميناثها سنوياً اكثر من اربعين سفينة محملة بالملابس الناعمة والحديد والخشب والتوابل والكهرمان، والاعشاب الاخرى»، ويسكنها تجار اغنياء يشتغلون على مائتي سفينة، ويقول الهولنديون ان التجارة في البصرة تحقق ربحاً بمقدار مئة بالمئة»[٣٦] واستون شيفرد اكثر دقة عندما اكد ان سوق البصرة في اهميته وسمعته اكبر من اي سوق سواء في القاهرة او في الاسكندرية حيث تتوفر فيه:

- حمولات الرز والسكر، والسكاكين والاواني من برمنكنهام (بريطانيا)
- القطن والاقمشة المطبوعة من مانجستر
- السجاد، والتركواز، من بلاد فارس
- التوابل من سيلان، واللؤلؤ من البحرين، القهوة من مخا (اليمن)
- الحرير الطبيعي والشاي من الصين
- الحديد والقصدير من انكلترا، والبنادق من السنغال
- التحفيات من بابل ونينوى، والرقيق من هرمز.

والذهب والفضة، والشاي والعمائم والنيلة من سورات ....[٣٧]

ولكن اهمية تجارة البصرة لا تمكن في ذلك النوع من السلع التي ذكرها استون شيفرد وانما في تجارتها الكبرى القائمة على التمور والخيول، والرقيق والابل، فيذكر تيفنو في ١٦٨٦، انه كانت في الميناء قبل وصوله الى البصرة خمسة عشر سفينة كبيرة قسماً منها هولندي والقسم الاخر لتجار اجانب وعرب كلها محملة بالتمور فقط وبكميات هائلة وبما تكفي لكل الهند»[٣٨]. ويقدر فوتانيه صادرات البصرة من التمور سنوياً والمارة فقط عبر قناة العشار بـ ١٥٠ Baglos(٦٠ طناً) وهذه الكمية قليلة، حيث تباع الـ Bagloالواحدة بستة الاف قرش وتذهب الانواع الجيدة منه الى موانىء البحر الاحمر في حين تذهب الانواع العادية منه الى الهند وكانت الضريبة على التمور المصدرة قرشاً واحداً لكل كيس[٣٩].

والبصرة غنية بسوق الرقيق فيها حتى عرفت احدى محلاتها بميدان العبيد ولكنها ليست اكبر من سوق مسقط وبالرغم من ان هذه التجارة كانت محرمة من الناحية القانونية لكنها معروفة انذاك وكانت بيوتات الموظفين والملاك الكبار في البصرة من احسن مصادر اقتناء الرقيق فيها. ويذكر الاب فنشنو في ١٦٥٦، انه قبل وصوله بايام قليلة الى البصرة وصلتها قافلة من الصبيان والفتيان من روس ويونانيين وعجريين وبولنديين»[٤٠]، اما ثافرنيه فيرى ان ما يشترى من الرقيق في سواحل البحر الاحمر وجنوبه كان يرسل الى مسقط التي كانت سوقاً رئيسية له وبقدر ما يدخلها من الرقيق باربعة الاف سنويا يصل الى البصرة منها حوالي ثلاثمائة ويذهب الباقي الى موانىء اسيا الاخرى»[٤١].

اما تجارة الخيول فلابد ان تكون رائجة في البصرة منذ الفترات المبكرة للعصر الحديث وذلك للاستخدامات العديدة للخيول سواء في القوافل التجارية، وقوافل الحج، وحاجات صنف الفرسان في الجيش العثماني بالاضافة الى حاجات التصدير. وبالرغم من ان الباب العالي كان قد حرّم تصدير الخيول من الامبراطورية لكن ذلك التحريم بقي حبراً على ورق وكانت ترسل الخيول الى المحمرة لاغراض التصدير.

ويتباين عدد الخيول التي كانت تصدرها البصرة من ١٥٠٠ رأس خيل عام ١٨١٦ كما ذكر بكنغهام[٤٢] الى مليون حصان عند منتصف القرن التاسع عشر كما يعتقد فوتانيه[٤٣] وكانت مدن الهند الكبرى مثل كلكتا وبومباي والسنغال وبلاد فارس من الاسواق المهمة لها. اما مصادر البصرة من الخيول فهي عديدة تمتد من الجزيرة الفراتية وتكريت وبغداد نزولاً الى البحرين والجزيرة العربية لوفرتها ولرخص اثمانها كما ذكر سبستياني في ١٦٥٦[٤٤] ولكن دور البصرة في تجارة الخيل لا تكمن في كونها منفذاً لتصديرها وانما مكانا لتربيتها ايضا وخاصة للفترة ما بين شرائها وتصديرها وقد تستغرق عدة شهور وذلك لتوفر المراعي الجيدة حول المدينة. وكذلك في كون البصرة نفسها سوقاً رائجة للخيل وذلك لاستخدام اعداد كبيرة من الخيول في القوافل التجارية الصحراوية الصاعدة الى حلب.

ويبدو من كتب الرحلات ان تجارة الخيل هذه مربحة جداً وانها تتعرض الى الكساد والخسارة بعض الاحيان، فيذكر بكنغهام ان سعر الحصان الواحد الواصل الى الهند من البصرة يبلغ ٦٠٠ روبية في حين يباع بـ ٨٠٠ روبية. واما الخيول التي ترسل الى اقليم البنغال فيكون عادة اجمل واعلى سعرا واكثر عددا حتى جذبت المقيم البريطاني للاشتغال بتجارتها وكان يرسل على حسابه الخاص عدداً من الخيل الجميلة التي يبلغ ثمنها واصلاً الى اقليم البنغال ١٥٠٠ روبية في حين يمكن بيعها بـالفي روبية، وهكذا[٨٥].

ولا تتحدث كتب الرحلات الاوربية بصورة مباشرة عن تجارة الابل في البصرة في الفترة موضوع البحث، ولكن نستنتج من دراستنا للقوافل التجارية الصاعدة من البصرة الى حلب وجود قوافل تقتصر على تلك الابل الفتية المخصصة للبيع فقط والتي ترسل اما من الجزيرة العربية مروراً بـالبصرة او من الصحراء المحيطة بالبصرة فيذكر الرحالة بلاستيد ان شيخ الاحساء يرسل سنوياً قافلة من تلك الابل الى حلب بقيادة احد اقربائه او اتباعه وبعد ثلاثة ايام من رحلتها يلتحق بها عدد اخر من الجمال حتى يتضاعف عددها الى ثلاث مرات. . . . حيث ذكر ان قافلته وحدها التي سافر معها عام ١٧٥٠ كانت تتألف من الفي جمل وكلها مخصصة للبيع[٨٦]. اما القوافل التجارية التقليدية فانها تستخدم اعدادا لاباس بها من الابل في رحلاتها وهي غالباً تتحدد بحجم التجارة المراد ارسالها في كل رحلة. في اواخر القرن السادس عشر يذكر Barker ان حجم تلك القوافل كان يتراوح ما بين الفين الى خمسة الاف جمل، ولكن يبدو ان تلك الارقام تعوزها الدقة. حقيقة ان جون آيلدرد سافر بقافلة في ١٥٨٣ تتألف من اربعة الاف ما بين حلب وبغداد، ولكن الرحالة الذين ذهبوا من البصرة الى حلب لا يذكرون ارقاماً عالية للجمال التي كانت في قوافلهم، فالرحالة البرتغالي Bernardino سافر في مطلع القرن السابع عشر بقافلة تتألف من ١٤٠٠ جمل، وثافرنيه بقافلة تتألف من ٤٠٠ جمل، وكارمايكل في ١٧٥١ بقافلة تتألف من ١٢٠٠ جمل، ستمائة منها فقط محملة بالبضائع[٨٧]. ولا نملك تفصيلات عن اسعار الجمال في البصرة، عدا تلك التي ذكرها بلاستيد عام ١٧٥٠، وهي لا تعطينا تصوراً دقيقاً عن اسعارها، لقد اشترى بـلاستيد جملاً واحداً للمحفة بسعر ٧٥ قرشاً في حين اشترى ثلاثة جمال اخرى لحمل امتعته بـ ٧٥ قرشاً (اي ٢٥ قرشاً للجمل الواحد). وينصح كارمايكل اولئك الرحالة الذين يغادرون البصرة الى حلب بشراء الجمال منها بسعر ٤٠ روبية لبيعها في حلب بربح مئة بالمئة[٨٨].

ان مدينة البصرة وتجارتها ربما لم تبلغ تلك الشهرة الواسعة لولا موقعها الاستراتيجي على واحد من اهم الطرق التجارية الدولية الذي يربط الشرق الاقصى باوربا. ولذلك فاهم الخطوط التجارية التي تتفرع من البصرة هي:

١ : الطريق البحري الذي يربطها باهم موانىء الخليج العربي انذاك ولا سيما هرمز والذي تعتبر جزيرة خرج المحطة الرئيسية فيه وذلك لموقعها في منتصف الطريق وتتوقف عندها كافة السفن المبحرة ما بين البصرة وهرمز.

٢ : وترتبط البصرة ببغداد بواسطة الطرق النهرية التقليدية عبر نهري دجلة والفرات ويفضل الرحالة استخدام طريق الفرات اكثر من طريق دجلة لان الاخير توجد فيه تعرجات كثيرة في اجزائه الجنوبية، ولعدم وجود قرى سكنية كثيرة عليه وخاصة ما بين العمارة وبغداد التي تعتبر مهمة لاية رحلة وخاصة عند تعرض تلك السفن الى المخاطر المتعددة كالغرق وهبوب الرياح والسرقات، والاهم من ذلك كله، هو ان طريق الفرات كان يشكل الجزء الجنوبي من طريق القلوجة البصرة وتكون بابل من اكبر المناطق التي يتوقف الرحالة فيها وتتخذ كنقطة مرور اما الى بغداد او الى الاماكن المقدسة في كربلاء والنجف. ولعل اول من استخدم هذا الطريق هم الرحالة الانكليز ايلدرد- فيج - نيوبري عام ١٥٨٣ عند نزولهم من حلب عن طريق البرجسك ولكن لم يتركوا لنا وصفاً عن اهم محطاته التجارية انذاك[٨٩] حتى عام ١٦٦٣ عندما سلكه الرحالة البرتغالي غود نهر الذي ترك وصفاً دقيقاً له ما بين البصرة وبابل والذي اكتملت معالمه عند نيبور بعد قرن تقريبا. ان اهم محطاته بعد البصرة هي:

القرنة :

وقد مر بها ثافرنيه عام ١٦٥٢ وذكر انها كانت تحكم من قبل ابن امير البصرة وتوجد فيها قلعة جيدة يحميها مدفع واحد وتسجل فيها كافة البضائع النازلة الى البصرة من بغداد وتزود السفن بقوائم الضرائب فيها ولكن تدفع عند وصولها الى البصرة[٩٠]. يبدو ان القلعة بقيت في المدينة حتى مطلع القرن التاسع عشر عندما وصفها الرحالة الانكليزي هيود عام ١٨١٧ وذكر ان القرنة. «مدينة صغيرة وفيها نقطة كمارك»[٩١]. في حين وصفها صموئيل ايفنز عام ١٧٨٩ بانها كانت مسورة بسورين من الطين ولم يتجاوز سكانها ٥٠٠ شخص[٩٢].

الشالوشية :

وبالرغم من ان غودنهو ذكرها في ١٦٦٣ وان نيبور لم يوردها عام ١٧٦٥، في حين ذكرها مايلز في رحلته عام ١٧٨٩ كقرية تقع على نهر دجلة وليس على نهر الفرات[٩٣] واغلب الظن انها لم تكن منطقة محددة ولربما كانت تشمل المناطق التي تسكنها عشائر الشلاش التي كانت تنتشر ما بين دجلة والفرات هناك.

المنصورية:

لم يذكرها غود نهو وانما وصفها نيبور بانها «قرية كبيرة» تقع على الفرات والى الشمال من نهري عنتر وصالح، ولكن ذكرها تايلر في ١٧٨٩ بانها تقع على دجلة وليس الفرات، وكما هو الحال مع الشالوشية فلربما انها كانت مناطق سكن عشائر بني منصور الحالية الممتدة بين دجلة والفرات[٩٤].

العرجة :

وهي الى الشمال من مدينة الكوت وفيها كمرك يعود الى عشائر آل صالح[٩٥].

السماوة :

وهي قرية صغيرة وفيها برج عال لارشاد القوافل الصحراوية عندما وصلها غودنهو في ١٤ نيسان ١٦٦٣، ووجد نيبور بيوتها مشيدة جميعها من الطين المجفف بالشمس وقدمات سكانها باجمعهم تقريباً «منذ بضعة سنوات بسبب الطاعون»[٩٦].

الملوم :

وصلها نيبور في ١٩ كانون الاول ١٧٦٥ ووصفها «بالقرية الكبيرة وهي مقر عشيرة الخزاعل» في حين لم يذكرها غودنهو[٩٧].

وتعتبر بابل المحطة النهائية لطريق الفرات النهري وتوفر للرحالة خيار الاستمرار في رحلته الى اعالي الفرات كما فعل غودنهو الذي واصل سفره الى عنه، او التحول الى طريق الفرات الصحراوي (بصرة ـ حلب) وذلك بالذهاب اما الى النجف او كربلاء الحاليتين ومنها السير باتجاه حلب، او الذهاب الى مدينة بغداد كما فعل نيبور حيث يمكن قطع المسافة في يومين اثناء الصيف وثلاثة ايام في الشتاء، ولكنه قطعها في اربعة ايام نظرا لكونه «ليس على عجلة من امره»[٩٨].

جدول رقم (٣)

رحلة غودنهو عام ١٦٦٣ من البصرة الى حلب عام ١٦٦٣ عن طريق الفرات (طول الرحلة = ٢٧ يوماً)

المناطق التي مر بها	التاريخ	الفترة بالايام
البصرة الشالوشية	٤/٩ ـ ٤/١٠	١
الشالوشية ـ العرجة	٤/١٠ ـ ٤/١١	١
العرجة ـ النجيب	٤/١١ ـ ٤/١٣	٢
النجيب ـ السماوة	٤/١٣ ـ ٤/١٥	٢
السماوة ـ النجف	٤/١٥ ـ ٤/١٧	٢
النجف/ الحلة	٤/١٧ ـ ٤/١٨	٢
(استراحة ليومين في بابل)	٤/١٨ ـ ٤/٢٠	٢
بابل ـ عنه	٤/٢١ ـ ٤/٢٨	٨
عنه ـ طيبه (الصحراء)	٤/٢٨ ـ ٤/٣٠	٢
استراحة ليوم واحد في طيبة	٤/٣٠ ـ ٥/١	١
طيبة ـ حلب	٥/١ ـ ٥/٤	٤

ان معرفة الوقت الذي تستغرقه الرحلة النهرية من البصرة الى بابل لابد ان يختلف نتيجة عوامل عديدة، لعل اهمها هو فترة السفر نفسها هل في الصيف او الربيع او الشتاء وذلك لملاءمة مناسيب المياه للسفر، ويأتي بعد ذلك حجم السفن وحمولاتها وحتى عدد الاشخاص الذين يقومون بسحبها بين تلك المحطات. وفي الوقت الذي يذكر فيه نيبور انه بالامكان قطع المسافة بين البصرة وبابل في فترة ٦ ـ ٨ ايام لكنه احتاج الى واحد وعشرين يوماً للوصول الى بابل.[٩٩].

ومهما تكن الفترة التي تستغرقها الرحلة النهرية في الفرات ما بين بغداد والبصرة فانها لاتختلف كثيرا عن مثيلتها في نهر دجلة، رحلة فنشنسو وسبستياني في ١٦٥٢ مثلا استغرقت واحدا وعشرين يوماً وان يكن قطعها بفترة اقصر[١٠٠] وارتاد هذا الطريق ايضا ثافرنيه في رحلته الثانية عام ١٦٥٢ ايضا ولكن لا يذكر تفصيلات عن المناطق التي مر بها وانما وصلنا بعضها من قبل الرحالة المتأخرين وخاصة جورج كيل في ١٨٢٤ وميناں ١٨٢٧ الواقعة عليه وهي :

العمارة ـ المجر ـ القصر ـ القرنة ـ نهر عمر ـ العزير ـ الدير ـ البصرة[١٠١]

حيث يلاحظ عدم ذكر اية قرية او مدينة تقع على دجلة ما بين العمارة وبغداد .

اما الطريق البري الذي يربط البصرة ببغداد فهو ذلك الطريق الذي يمثل الجزء الجنوبي من طريق بصرة ـ حلب الصحراوي الكبير حيث يذهب اغلب الرحالة اما الى النجف الحالية والتحول منها الى بابل ومن ثم الى بغداد وهذا يستغرق ثلاثة الى اربعة ايام، او الذهاب ابعد حتى كربلاء ومنها الى بغداد وهذا يستغرق من يومين الى ثلاثة ايام بدون اقامة او توقف في المدن .

ولكن اهم الطرق البرية التي تربط البصرة بالعالم الخارجي هو طريق بصرة ـ حلب الشهير الذي لازال ينتظر الدراسة والبحث. فبعد ان شهدت اوربا نهضتها المعروفة في اواخر العصور الوسطى وقد كان من اهم نتائجها هو يقظة اوربا نحو اسيا واهميتها، وخاصة بعد اتجاه اسبانيا والبرتغال نحو العالم الجديد، الذي نبه انكلترا وفرنسا وهولندا لتجارة الشرق وقد ادركتا ان تجارة الهند هي تجارة العالم. وبذلك فقد توجه الى الهند الكثير من الرحالة الانكليز والفرنسيين واغلبهم من مبعوثي شركتي الهند الشرقية الانكليزية والفرنسية وهم سلكوا طريق وادي الفرات الصحراوي المعروف انذاك باسم طريق قوافل الصحراء الكبرى Great Desert Caravan Route كأقصر طريق يربط الخليج العربي بالبحر الابيض المتوسط، بل واقصر بكثير من طريق رأس الرجاء الصالح الذي كان يخضع للسيطرة الاسبانية ـ البرتغالية انذاك.

لعل البرتغاليين اول من استخدم طريق الفرات الصحراوي بالرغم من محاولاتهم على عدم تشجيع الطرق البرية التجارية لزيادة قبضتهم على الطرق البحرية التي كانت عصب امبراطوريتهم ويعتبر Antonio Tenreiro اول برتغالي استخدم هذا الطريق مرتين في العصر الحديث لنقل البريد الى الهند مرة في ١٥٢٣ عند عبوره الصحراء من حلب الى البصرة والثانية في ١٥٢٨ عند عودته من الهند الى لشبونة. وبالرغم من ان Tenreiro نشر رحلته عام ١٥٦٠ لكنه لم يورد اية تفصيلات عن هذا الطريق، وكذلك الحال بالنسبة الى جماعة من الرحالة البرتغاليين عام ١٥٦٥ والرحالة الانكليز نيوبري ـ فيج ـ آبلدرد عام ١٥٨٣ الذين سلكوا اجزاء من ذلك الطريق دون ذكر وصف له[١٠٢] .

ولكن Pedro Teixiera اول رحالة اوربي وصف الجزء الجنوبي من الطريق (بصرة ـ كربلاء) عام ١٦٠٤ حيث سافر من البصرة عبر الصحراء الى كربلاء ثم بغداد وعنه وحلب. وبالرغم من ان الرحالة الايطالي دي لافال سلك الطريق نفسه الذي سلكه تكسيرا بعد عشرين عاما لكنه لم يذكر لنا تفصيلات عنه اما الجزء الشمالي ، من الطريق فقط سلكه البرتغالي Gaspar de Bernardino للفترة ١٦٠٦ ـ ١٦٠٧ دون اية تفصيلات ايضاً.[١٠٣]

ان الوصف الكامل لطريق بصرة ـ حلب الصحراوي للقوافل التجارية وصلنا من الرحالة الانكليز منذ منتصف القرن

الثامن عشر عندما بدأوا يرتادونه بكثافة تلبية لحاجات شركة الهند الشرقية الانكليزية وخاصة G. Kapper وبلاستيد عام ١٧٥٠ حيث ذكروا ان اهم محطاته هي :

الزبير ، جويده ، الخانق ، الغضاري ، الاثله (وهي قرب بركة الرحمة الواقعة مقابل مدينة النجف من جهة الغرب)، هدية، الاخيضر، الرحالية، حكلة الحوران (حيث تلتقي فيها القوافل التجارية القادمة من بغداد بقوافل البصرة)، طية (وهي من اكبر المحطات التجارية الصحراوية قبل مدينة حلب وقد ذكر عنها تكسيرا في ١٦٠٤ بانها تضم ٢٥٠ بيتاً، ويوجد فيها وكيلاً للجالية الاوربية في حلب كما اضاف دي لافال) ، ولعل اخر محطة هي Hagiar (الحكلة؟) وتقع بالقرب من قرية قديمة تعرف بالجبون يعتبرها بلاستيد نهاية الطريق حيث تنتظر القوافل هناك لاستلام اوامر الباشا من حلب ليحدد مكان التجمع وليتمكن الشاهبندر ورجاله من رؤية القافلة، وتعتبر قرية نيرب هي مكان تفتيش القافلة وفرض الضرائب حيث يوجد عشرون موظفا من الكمارك هناك[١٠٥].

اما الطريق الذي ذكره نيبور في ١٧٦٥ استناداً الى رواية احد البدو الذي سافر لاكثر من عشرين مرة فيه، وزاد عليه احد التجار بعض الاسماء لا تختلف في محطاته الرئيسية ولكن يبدو ان بعض المحطات والمناطق قد ادخلت دون تدقيق لانها لم تذكر من قبل الرحالة الذين سلكوا الطريق لمرات عديدة، فهذه المحطات هي :

الزبير ـ جويدة ـ شكره ـ الخنقة ـ القصر (وهو قلعة مهدمة) ـ وادي ابو مريس (عيون سعد ام كرون) ـ الغضاري ـ (؟) Dajarami ـ القائم او الاثلة ـ بركة الرحمة (بالقرب من النجف الحالية) ـ الطفطنة (الحياضية) ـ الحسين (كربلاء) ـ الاخضير ـ رأس العين ـ لميل ـ كبيسة ـ عقلة الحوران غب الجاموس ـ المانعي ـ الرنقة ـ البرودن ـ الرحبة ـ جب الغنم الحمض ـ جبل البشير ـ العدمة ـ طية ـ قصر العين ـ قاع ابو الفياض ـ عنز الروثة ـ صهاريج ـ مرتفعات سيث (وفي هذه المرتفعات توجد الحكلة) وتوجد عين سفيره او عين ذهب ـ حلب[١٠٦].

ومن ذلك يبدو ان وادي ابو مريس (عيون سعد ام كرون) هو وادٍ مازال موجوداً حتى الان وليس محطة تجارية لترتقف القوافل وطقطه كذلك تقع بالقرب من الكوفة الحالية وهي اول محطة تترقف فيها القوافل الصاعدة من النجف والكوفة باتجاه بلاد الشام ولم يسبق ان مر بها طريق البصرة ـ حلب الصحراوي وكذلك الحال بالنسبة لكربلاء حيث لم تمر بها القوافل الا قوافل المسافرين الى بغداد انها تقع الى الشمال الشرقي من الطريق وانما تمر بالاخضير القريب منها وكذلك كبيسة التي هي اخر محطة تجارية للقوافل الصاعدة من بغداد الى حلب وتجمع كل الرحالة الذين سلكوا طريق بصرة ـ حلب ـ انهم لم يتوقفوا عند كبيسه وانما الى الغرب منها[١٠٧]

وينفرد نيبور من بين الرحالة الاخرين بذكر طريق بديل عن الطريق اعلاه وذلك لاستخدامه عندما يتعدم الامن في مناطق الطريق السابق ، ويعد اكثر باتجاه الغرب في عمق الصحراء وفي هذه الحالة يجب التزود بالماء اللازم لمدة ٤ ـ ٥ ايام على الاقل واهم محطاته هي :

الزبير ـ جويده ـ شكره ـ الخانق ـ القصير ـ السلمان ـ الاثلة ـ قطري البريه ـ حجره او عجوز ـ القصرة ـ صواب ـ الصرايم ـ الصخنة ـ بئر قديم ـ ابو فياض ـ الحمام ـ جبل الحص ـ الحكله ـ سفير ـ حلب[١٠٨].

ويبدو من محطات هذا الطريق ان الافتراق عن الطريق الاول يبدأ من الخانق باتجاه السلمان (نقره السلمان الحالية) ومن ثم العودة الى الاثلة، اي الابتعاد عن مناطق عشائر الفرات الجنوبي وخاصة عشائر المنتفك ومن ثم الرجوع الى عمق الصحراء حتى جبل الحص والحكلة اي الابتعاد عن عشائر الفرات الاعلى حيث كانت تلك العشائر في صراع مستمر مع السلطات العثمانية.

اما الطرق التي تخرج من البصرة الى الجزيرة العربية فهنالك طريق القرين (الكويت الحالية) الذي يتفرع من جويدة ـ صفوان ـ الجهراء والقرين على ساحل الخليج العربي وهذا ما ذكره نيبور فقط دون الرحالة الاخرين والطريق الثاني هو طريق

الحج البري الذي ذكره تيفنو فقط في ١٦٨٦ حيث يخرج الحجاج من البوابة الشرقية للبصرة (مقام علي) ويتجهون الى قلعة صغيرة تبعد ثلاثة اميال المانية Agatsch عن المدينة حيث يوجد فيها ماء مر (واظن الدرهمية الحالية) ـ ثم الى جبل سنام وفيه يوجد الماء النقي الطيب المذاق، ومنها الى منطقة الحفار — Tache Hafer ويتوفر الماء الجيد فيه ومنه الى العنيز Anize التي تبعد مسافة ثلاثة عشر يوماً مشيا على الجمال. ومن العنيز يتجه الطريق غربا نحو نجد التي توجد فيها قلعتان الواحدة مقابل الاخرى وتسكنها بعض القبائل العربية لكن الماء فيها غير جيد، ومن نجد ينزلون جنوبا باتجاه المدينة المنورة ومكة ولا يتحدث تيفنو عن محطات الطريق ما بين نجد ومكة ويكتفي فقط بذكر ان على الحجاج التزود بالماء لعدد معين من الايام وحتى وصولهم قرب مكة لارتداء الاحرام. ويستغرق الطريق عند العودة من مكة الى البصرة حوالي ٣٥ يوماً[١٠٨]. ولا يذكر غود نهو في ملخصه الصغير عن الطرق في القرن السابع عشر هذا الطريق وانما طريق مكة ـ السويس فقط[١٠٩].

وفي مثل هذه المجتمعات والمراكز التجارية لابد ان توجد فيها عمليات منظمة للائتمان والصيرفة وخاصة مدينة البصرة التي تلتقي فيها الجاليات من مختلف انحاء العالم، وكل النقود فيها معروفة كما يذكر تكسيرا[١١٠]. ولكن اغلب الرحالة المبكرين لم يتطرقوا الى انواع العمليات الائتمانية في البصرة ما عدا ذكرهم لبعض انواع النقود المتداولة وحتى منتصف القرن الثامن عشر عندما بدأ بعض الرحالة الذين سلكوا طريق الفرات الصحراوي يشيرون الى بعض تلك العمليات التي كانت تسيطر عليها الجالية العبرية في المدينة واهمها ما سماه الرحالة بلاستيد عام ١٧٥٠ باسم Respondentia ولابد انها تشبه عملية Ricorsa التحويل واعادة التحويل للاموال بين مكانين وقد اخترعها التجار الايطاليون في العصور الوسطى الاوربية واخذت بالانتشار الى بقية انحاء اوربا فيما بعد .

يوصي بلاستيد الرحالة بان لا يحملوا نقودهم معهم اثناء رحلتهم لمخاطر السرقة والضياع، وانما عليهم اقراضها في البصرة الى احد التجار اما في المدينة او احد التجار الذين يسافرون معه في القافلة والذين هم بحاجة اليها عند الرحيل . فاذا وجد احدهم من يرغب الاقتراض فانه عليه اعطاءها الى ذلك التاجر مقابل ان يقوم الاخير باعطائه تعهدا مكتوبا يسمى (Respondentia) يتعهد فيه (او وكيله) عند الوصول الى مدينة حلب بدفع المبلغ اما بعملة مدينة حلب او بعملة يتم الاتفاق عليها مقدما ويبدو ان العملات المستخدمة في هذا النوع من المعاملات هو القرش Piastre[١١١].

ويذكر بلاستيد في ١٧٥٠، وتايلر في ١٧٨٩ وجود نوعين من القروش هما : القرش الجاري او السائح Piastre Courante (وهي النقود الحسابية)، والقرش الخاص او يسمى القرش الرومي Piastre en Spece (وهي النقود الحقيقية) ويقال للاول باللغة الايطالية التي كانت لغة المال والصيرفة انذاك Moneta Corrente وللثاني Moneta Bouna حيث كان الاخير اغلى من الاول بنسبة ١/٢ ٦ بالمائة عند بلاستيد و٦ ـ ١٠ بالمائة عند تايلر الذي يوصي الرحالة بان يكتبوا كافة معاملاتهم المالية بالقرش الرومي لانه اغلى من القرش الرائج لانه اذا لم يفعلوا ذلك فان الصرافين سيدفعون لهم في حلب بالقرش الرائج وهذا حدث فعلاً لبلاستيد الذي اقرض احد التجار في البصرة القرش ولكنه لم يحدد نوع القرش في التعهد، فعند وصوله الى حلب اراد الطرف المسحوب عليه الحوالة (التعهد) ان يدفع له بالقرش الرائج ولكن الصدفة ان التاجر (الساحب) كان معه في القافلة حيث رجع اليه وعوضه ذلك لانه كان من التجار الشرفاء، ولكنه حتى في هذه الحالة حصل على ربح قدره ١٥ بالمائة[١١٢].

ومن هذا يبدو ان المجتمع التجاري في البصرة او حلب لا يختلف عن المجتمعات التجارية في الاسواق والموانىء الاوربية في العصور الوسطى وعصر النهضة حيث تنعدم البنوك المركزية وتتعدد المصارف الخاصة وتتعدد انواع النقود المعدنية ووجود نوعين من النقود في العمليات الحسابية : نقود حسابية (خيالية) ونقود حقيقية الاولى اخترعت لمجرد تسهيل العمليات الحسابية وللتقليل من تداول النقود ولكن لها ما يساويها من العملات المتوفرة في السوق في كل وقت حيث يملك الصرافون والتجار

جداول خاصة ومعقدة لمعرفة ما يساويها.

فالشامي مثلاً كان العملة التي تقام بها صفقات التمور منذ فترة مبكرة في البصرة ولكنها انقرضت في القرن الثامن عشر الا انها ظلت كأساس لبيع التمور وكانت قيمتها الرسمية تقل عن قيمتها في السوق ولكن المشتري في النهاية يدفع حسابه بالعملات المتوفرة لديه بعد ان تتم عملية تحويل الشاميات التي تمت بموجبها الصفقة الى تلك العملات المتوفرة لدى المشتري وفق جداول خاصة يمتلكها الباعة والدلالون والصرافون. وكذلك الحال مع (قران الدفتر) في القرن التاسع عشر الذي كان قرانا خياليا حيث كان كل ٣٤,٤ منه يساوي ليرة عثمانية، ورغم ان تلك الليرة اصبحت تساوي ٥٤ قرانا حقيقيا فيما بعد الا ان القران الخيالي بقي العملة التي تحسب بموجبه الصفقات التجارية ثم تبدأ عملية المعادلة والتسوية وفق جداول خاصة وبعدها يتم الدفع بالعملات المتوفرة وهكذا[١١٣].

ان وجود هذا النوع من العمليات الحسابية سببه عدم توفر كميات كافية من النقود الحقيقية المعدنية، ولاختفاء النقود المعدنية الجيدة من السوق وخاصة الذهبية والفضية منها بسرعة وبذلك نرى تيفنو مثلا يذكر ان «الزكين البندقي» او «زكيتو» كما ذكره فنشنسو في ١٦٥٦، وهو عملة ذهبية لمدينة البندقية الايطالية كان يساوي ٧/٥ قرشا (نقود فضية) وكل قرش = ٣ - ٥/ ٣ عباسي (نقود حسابية)، لكن الزكين البندقي «نادر جدا» في البصرة ويجلبه المسافرون معهم من الهند[١١٤]، ويبدو انه كان معروفا في البصرة حتى عندما زارها تايلر في ١٧٨٩ ذكرياته كان يساوي ١٧/٥ قيراطا من الذهب[١١٥].

ولكن بلاستيد ذكر المعادلات في حسابه لنفقات رحلته عام ١٧٥٠ :

١ : روبية هندية (فضة) = ٥ محمودي (نحاسي)

١ زيلت عثماني (zelot) فضة = ٥ ٤/ محمودي (نحاسي)

١ قريش (Piastre) فضي = ٦ محمودي (نحاسي)

١ دوكادو (زكين) ذهبي = ٢١,٥ محمودي (نحاسي)

١ باوند استرليني = ٤٥,٥ محمودي (نحاسي)

والزيلت وهي من النقود الفضية العثمانية المعروفة في البصرة وعند تحويلها الى نقود ذهبية كان الشخص يحصل على فائدة قدرها ٤,٥ بالمائة . ولكن بلاستيد ينصح الرحالة بشراء الذهب في البصرة لانه افضل من اية نقود معدنية ويمكن بيعه في اية محطة تجارية اثناء الطريق[١١٦].

الهوامش والمصادر

١ : لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، (بغداد ١٩٦٨) راجع الفهرست، الملحق الاول : ص ٣٩٧ - ٤٠٨

ورغم الرقم يعتقد الاستاذ كوركيس عواد وهو من المهتمين بتلك الرحلات الاجنبية التي ذكرت العراق في العصر الحديث. راجع: المورد، المجلد التاسع، العدد الثالث (١٩٨٠) ص ١٦٧.

٢ : من الترجمات التي ظهرت بالعربية مثلا ما قام به الدكتور عمود الامين عندما ترجم الجزء الخاص ببغداد والموصل من رحلة كلاستردن نيبور باسم (رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر)، (بغداد ١٩٦٥)، وترجمت سعاد هادي العمري الجزء المتعلق برحلة نيبور من البصرة الى الحلة باسم «مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة ١٧٦٥)، (بغداد ١٩٥٥) ، كما كتبت دراستها عن بغداد بعنوان (بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة)، (بغداد ١٩٥٤). وترجمه بشير فرانسيس وكوركيس عواد ثافرتيه باسم «العراق في القرن التاسع عشر (بغداد ١٩٤٤). وكذلك ترجم الاب الدكتور بطرس حداد القسم الخاص بالعراق من رحلات فنشنسو وسبستياني للعراق عام ١٦٥٦، وتايلر عام ١٧٨٩ - ٩٠: المورد المجلد الخامس، العدد الثالث (١٩٧٦ ص٧١ - ٨٩، والمجلد التاسع العدد الثالث (١٩٨٠) ص ١٩٧ - ٢١٢، والمجلد الحادي عشر ، العدد الاول (١٩٨٢ ص ٢٥ - ٤١.

اما الاستاذ سليم طه التكريتي فقد قام بترجمة رحلة بكنغهام بعنوان: رحلتي الى العراق عام ١٨١٦ بجزئين (بغداد ١٩٦٧ و ١٩٧٠)، كما ترجم رحلة رأورلف بعنوان (رحلة المشرق الى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين (بغداد ١٩٧٨).

اما فؤاد جميل فقد ترجم رحلة السير وليس بدج بعنوان رحلات الى العراق (بغداد ١٩٦٦) في حين ترجم علي البصري رحلة مدام دي لافوا بعنوان «رحلة مدام دي لافوا الى كلدة العراق عام ١٨٨١، (بغداد ١٩٥٨) . . . . . الخ

اما عن طريق بعض البحوث التي درست مواضيع محددة من خلال تلك الرحلات راجع مثلا:

× نورس، د. علاء موسى كاظم، بغداد في رحلات الاجانب في العهد العثماني،

المورد ، المجلد الخامس العدد الثالث (١٩٧٦)، ص ١٣ ـ ٢٧ .

× الراوي ، سلمان وفيق، بغداد في رحلات الاجانب، المورد : المجلد الثالث، العدد الرابع (١٩٧٩) ص ٦٥٠ ـ ٦٥٧ .

3 — The Travels of Abbe Carre in India and the Near East from 1627 to 1674 (Charles Fawcett, ed) , (London, 1974), Vol. 1, p. 8 — 13.

4 — The Great Desert Rout to India, (Doglus Carruthers, ed.), (London, 1929), p. 14.

5 — Cowper, S, Through Turkish Arabia: A Journey from the Mediterranean to Bombay by the Euphrates and Tigris Valleys and the persian Gulf, (London, 1884), see the Introduction.

7 — Fontainer, V. Voyage dans L'Inde et dans Le Golfe Persique por L'Egypet et le Mer Rouge, 3 tomes, (paris, 1844 — 46).

حيث كتب عن البصرة وحدها خمسة فصول (الثامن ـ الثالث عشر) من الجزء الاول ص ١٦٥ ـ ٢٨٥ وهناك اراء مضيفة تناقش جهوده في العراق والبصرة بصورة خاصة والرامية لعرقلة المصالح البريطانية في كتاب د. عبد العزيز نوار تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا القاهرة ٦٨ ص ٢٩٦ ـ ٥١٨ ، وكذلك في اطروحة د. صادق ياسين الخلو المرسومة .

L'Europe et Les Problemes Maritmes du Golfe Arabe de 1789 a 1857 2 tomes (Unmblished ph. D thesis). University of provencal, 1983, Vol. 2, p 598 — 98.

اما كتاب اداموف فقد ترجمه د. هاشم صالح التكريتي بعنوان ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ج ١ (البصرة، ١٩٨٢) في حين ان الجزء الثاني تحت الطبع .

٨ ـ من اولئك الرحالة الذين انجهوا الى الغرب في القرنين السادس عشر والسابع عشر راجع .

Raymond Beazly , (ed.) Voyages and travels during the Sixteenth and Seventh centuries, 2 Vols. , (London, 1903)

9 — Hakluyt, R. The Tudor Venturers, Selected from the principal Navigations, Voyages trafiques and Discoveries of English Nation, Vol. 3, (Glasgow, 1904), p. 83.

10 — Bidwell, R. Travellers in Arabia, (London, 1976), p. 20.

11 — Hakhuyt, R. Op. Cit. Vol. 5, p. 365 — 66.

12 — Ferguson, S.W. The Travels of peter tebeira from India to Italy by Land, (London 716, p. 1 — 2.

13 — Godinho, Manuel Relacao do Novo Caminho que Fez por Terra e Mar, vindo da India para Portugal no anno de 1663, Second Edition, (Lisboa, 1824), p. 127 — 31.

14 — L'Estrange , R. The Travels of Monsieur de Thevenot into Levant, (ed.) (London, 1687) , The Introduction.

١٥. تافرنيه، العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنيه ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، (بغداد ١٩٤٤). ص ٣.

١٦ ـ مثلا لم يتجاوز ما كتبه فردريك الصفحة الواحدة عند مشاهداته في البصرة، في حين ما كتب الرحالون الانكليز الثلاثة اكثر من ثلاث صفحات راجع Hakluyt, R. op. cit. Vol., 5, p. 365 — 71, and p. 452 — 56.

اما كاسبار بالبي فلم يكتب اكثر من صفحة واحدة عن البصرة في ١٥٩٠ . توجد الترجمة الالمانية للرحلة في مكتبة المتحف العراقي بعنوان Gaspar Balbi Venetiaans koopman, naar o ost — Indien Van't Jaar 1579 tot het Jaar 1588.

١٧ ـ فرنكريك : المصدر السابق ،

١٨ ـ يذكر تكسيرا ان البصرة انشأت في هذا المكان منذ مائتي سنة وهذا مؤنمها الثالث .

Teixiera, Op. cit. p. 17.

19 — Hakluyt, R. Op. Cit. Vol. 6, p. 6 — 7.

20 — Teixiera, Op. Cit. p. 15.

21 — The Travels of peter Della Valle, simamed the Traveller containing a Description of the East Indies and Arabia... etc., Hakluyt Society (ed.), (London, 19) .

٢٢ ـ المصدر السابق : ص ٩٤ ـ ٩٦

٢٣ ـ المصدر السابق : ص ٨٥

٢٤ ـ تفينو ، المصدر السابق ، ص ١٥٨ philipe, R. p. Voyage D'Orient, (Lyon, 1652), p. 79.

٢٥ ـ هذا المبلغ اورده تفينو عند تقديره لواردات باشوية البصرة السنوية في النصف الثاني من القرن السابع عشر . راجع : Thevenot, Op. Cit. p. 59. 162.

26 — Carruthers, D. Op. Cit. p. 59, p. 177 — 78.

٢٧ ـ نيبور ، المصدر السابق : ص ٧ ـ ٨

٢٨ ـ بكنغهام ، المصدر السابق، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٣

29 — Parsones, A. Travels in Asia and Africa including a Journey from Scanderon to Alppo and over the Desert to Baghdad and Bussora, (London, 1808), p. 155 and passim.

٣٠ ـ راجع بعض خرائط الاسوار التي رسمها نيبور مثلا لبعض المدن العراقية كبغداد والموصل والنجف حيث تبدو اسوارها على شكل دائري او شبه دائري. بكنغهام، المصدر السابق : ص ٢٥٧ ـ ٢٦٠

31 — Parsones, Op. Cit. p. 162 — 64.

32 — Carruthers, Op. Cit. p. 60.

٣٣ ـ بكنغهام ، المصدر السابق : دي لافال ص ١٣٦

٣٤ ـ تافرنيه : المصدر السابق : ص ٩٤

35 — Thevenot, Op. Cit. p. 157 and 559

٣٦ ـ تافرنيه : المصدر السابق : ص ١١١ ، بالنسبة لنيبور راجع جدول رقم (١)

37 — Thevenot, Op. Cit. p. 163.

٣٨ ـ نيبور : المصدر السابق ، ص ١٧٢ ، بكنغهام، المصدر السابق : ص ٢٥٧ ـ ٢٦٠

Parsones, Op. Cit. p. 156 — 58.

39 — Dupre, Voyage en perse, fait dans Las annees 1807, 1808, et 1809 en traversant La Natolie et La Mespotamie ..... etc., tome premier, (Paris , 1819), p. 198.

40 — Teixiera, p. Op. Cit. p. 16 — 17.

٤١ ـ نيور ، المصدر السابق :

42 — Della Valle Op. Cit.

الرسالة الحادية عشرة /حلب ٥/٨/١٦٢٥

٤٣ ـ وهو المعامل الذي اعتاد مؤرخو التاريخ السكاني استخدامه لمعرفة حجم العوائل في البصرة .

٤٤ ـ حيث ذكر فورد نيو ان عدد سكانها يبلغ مائة مائة الف نسمة وبذلك فهو استخدم معامل ٣/٣ نسمة/بيت تقريبا.

Godinho, M. Op. Cit. p. 117

٤٥ ـ نيور المصدر السابق : ص ١٠ ـ ١١

٤٦ ـ تايلر ، المصدر السابق : ص ٣٦

٤٧ ـ بكنغهام ، المصدر السابق :

48 — Issawi, Charles The Economic History of the Middle East 1800 — 1914, population and Movement in Iraq, (Chigago, 1966), p. 157.

49 — Locher, A. With Star and Crescent: A Full and Authentic Account of a Recent Journey with a Cravan from Bombay to Constantinople, (London, 1889), p. 73.

٥٠ ـ نورس د. علاء كاظم ، المصدر السابق : ص ٢٢ ـ ٢٣

٥١ ـ اداموف ، المصدر السابق : ج ١ ، ص ١٢٩

٥٢ ـ من سكان بغداد في تلك الفترة، راجع، نورس، د. علاء كاظم، المصدر السابق : ص ٢٣

٥٣ ـ الفهواتي ، د. محمد حسين ، البصرة دورها التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩ ـ ١٩١٣، البصرة (١٩٨٠ ص ٤٥

٥٤ ـ بكنغهام ، المصدر السابق : ص ٥٥

٥٥ ـ اداموف ، المصدر السابق : ج ١ ، ص ١٣٠

٥٦ ـ بكنغهام ، المصدر السابق :

57 — Shepherd, W.A. From Bombay to Bushire and Bussora : Including an Account of the present State of Persia and Notes on the Persian War, (London. 1857) p. 197

66 — Thevenot Op. Cit. p. 163

٦٧ ـ نيور ، المصدر السابق :

٦٨ ـ سبستياني ، المصدر السابق : ص ١٨٢ ـ ١٨٣

69 — Godinho, M. Op. Cit. p. 141 — 42.

٧٠ ـ اداموف ، المصدر السابق : ج ١ ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣

71 — Della Valle Op. Cit. p. 246 — 47.

٧٢ ـ نيفو، المصدر السابق : ص ١٠٠

73 — Phillipe, Op. Cit. p. 47.

74 — Thevenot, Op. Cit. p. 157.

٧٥ ـ وردت هذه المعلومات بصورة مفصلة في مقدمة كتاب حول طريق الصحراء الى الهند

Doguliss Carruthers

76 — Godinho, Op. Cit. p, 116 — 122.

77 — Shepherd, Op. Cit. p. 187.

78 — Thevenot, Op. Cit. p. 157.

79 — Fontainer, Op. Cit. p. 250.

٨٠ ـ فنشنسو، المصدر السابق : ص ٨٦

81 — Fontainer, Op. Cit. p. 277 — 78.

٨٢ ـ بكنغهام ، المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٢٨١ ـ ٨٣

83 — Fontainer, Op. Cit. p. 252 — 55.

٨٤ ـ سبستياني ، المصدر السابق : ص ١٧٦

٨٥ ـ بكنغهام ، المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٢٨١

86 — Carruthers, Op. Cit. p. 62.

87 — Ibid, P1/2 33.

88 — Ibid, p. 65 and 167.

89 — Hakluyt, Op. Cit. vol. 5, p. 367 — 71.

٩٠ ـ المصدر السابق : ص ٩٣ ـ ٩٤

91 — Hude, Op. Cit. p. 52.

92 — Evens, Samuel A Journel Kept on a Journy from Bassora to Baghdad over the Little Desert to Alppo, Cypres,..... in the year 1779, (London, 1784), p. 7.

93 — Godinho, Op. Cit.

نيور ، المصدر السابق : ص ٦٦ تايلر المصدر السابق : ص ٤٠

٩٤ ـ المصدران السابقان ، نفس الصفحات

٩٥ ـ ٩٧ ـ نيور المصدر السابق : ص ٦٥ ـ ٦٦

٩٨ ـ ٩٩ ـ المصدر نفسه : ص ١٠٨ و ص ٥٥

١٠٠ ـ سبستياني، المصدر السابق : ص ١٨١

101 — Mignan, R. Travels in Chaldea including a Journey from Bassura to Baghdad, Hilla, and Babylon performed on Foot in 1827, (London, 1829), p. 15 and Passim.

Keppel, George personal Narrative of A Journey from India to England by Bussorah, Baghdad, the ruins of Babylon .... in the year 1824, 2 Vols., (London, 1827), p. 78 — 94.

102 — Carruthers, Op. Cit. p. 16 — 19.

103 — Kepper, James Observations On the Passage to India Through Eygpt, by Vienna to Constantinople to Alppo and from thence by Baghdad and Directly across the Desert Bassora. (London, 1785), p. 178 — 270.

١٠٤ ـ اما عن رحلة بلاسشيد فقد وردت في كتاب D. Carruthers المدون : The Great Desert Route to India : p. 51 — 134.

١٠٥ ـ نيور ، المصدر السابق : ص ٤٨

١٠٦ ـ راجع رحلة J. Capper الذي لم يذكر انه مرّ في اي من تلك المناطق التي اضافها نيبور الى المسلات الخليجية Capper, op. cit., p. 193 . اما بلاستيد فقد ذكر ان قافلته نزلت في وادي يبعد ميلين عن كيسه وارسل قافلة رسولا الى المدينة لاستطلاع الرأي حول وصول قافلة بغداد . راجع : Carthuers: op. cit., p. 78 — 80.

١٠٧ ـ نيبور ، المصدر السابق : ص٤٨ ـ ٥٠

108 — Thevenot, Op. Cit. p. 163 and Passim.

109 — Godinho, Op. Cit.

110 — Teixiera, Op. Cit. p. 17.

111 — Carthuree, Op. Cit. 104

١١٢ ـ تايلر ، المصدر السابق : *Ibid, p.105 _7.*

١١٣ ـ الفواتي ، المصدر السابق : ص ٧٧ ـ ٧٨

114 — Thevenot op. cit p. 158.

١١٥ ـ تايلر ، المصدر السابق :

116 — Carthuree, Op. Cit. p. 128.

٥٨ ـ فشنسو ، المصدر السابق ، ص٥٨ . سبستياني، المصدر السابق ، ص١٨٤ الرسالة العاشرة، احداث ١٣ نيسان/١٦٢٤

59 — Della Valle, op. cit,

٦٠ ـ نيبور ، المصدر السابق ، ص ١٠

61 — Teixiera, op. cit. p. 17.

٦٢ ـ اداموك ، المصدر السابق، ج ١ ، ص١٩٩

63 — Fawcett, Ch. op. cit. Vol. I, p. 8.

٦٤ ـ فشنسو ، المصدر السابق ، ص ٨٣

65 — Della Valle op. cit. الرسالة العاشرة في ١٣/نيسان/١٦٢٤

• • •

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة